حبيبة عليليش.

جامعة علي لونيسي البليدة -2-

الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية في بايلك التيطري أثناء العهد العثماني.

1519 -1830م

تمهيد:

إن التطورات التي عرفها الحوض الغربي للمتوسط عامة والجزائر خاصة منذ مطلع القرن السادس عشر ميلادي مهدت لالتحاق الجزائر بالدولة العثمانية، وإتباع نظام معين اتسع على مناطق ونواحي عديدة من الجزائر بداية من مدينة الجزائر إلى الغرب والشرق الجزائري .فأضحى أقرب النواحي أو البايليك إلى مركز السلطة العثمانية بالجزائر هو بايلك التيطري . فيبدو أن هذا ما جعل هذا الأخير يتميز عن البايليك الأخرى بالأهمية الكبرى. فالسؤال المطروح، ما هي ظروف تأسيس هذا البايلك وبماذا تميزت الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية به في هذه الفترة ؟

ظروف تأسيس بايلك التيطري :

تعتبر سنة 1516م هي سنة حلول عروج بربروس [1] وجيشه بمدينة الجزائر بطلب من أعيانها[2] ،فرأى هذا الأخير أن يقسم الجزائر إداريا لمقاطعتين واحدة شرقية يشرف عليها أخوه خير الدين ومقرها مدينة دلس ،والأخرى غربية وعاصمتها تنس ويشرف عليها هو بنفسه ومقرها الإداري مدينة الجزائر [3] ، بهذا فان مقاطعته شملت مدينة المدية التي أخضعها سنة 1517م ووضع بها نوبة أو حامية عسكرية[4]،والذي لا خلاف فيه هو أن الهدف من وضعه لهذه الأخيرة هو ضمان عدم تمرد وخروج سكان هذه الجهة عن سلطته .

غير أنه وبمجيء حسن بن خير الدين بربروس إلى الحكم، عمل على تقسيم ايالة– ولاية –الجزائر سنة 1565م [5] إلى ثلاثة بايالياك– مقاطعات – وهي بايلك الشرق ومركزه قسنطينة، وبايلك الغرب ومركزه وهران – بعد فتحها وقبل ذلك كانت مازونة ثم معسكر –ويتوسطهم بايلك الجنوب ومركزه المدية[6]، ووضع على كل بايليك بايا يحكمه، أما المنطقة العامة ،فهي دار السلطان وتشمل مدينة الجزائر وما حولها[7]، فلهذا

يمكن أن نعتبر أن حسن بن خير الدين يعد المؤسس الأول الذي وضع أسس الإدارة العثمانية الحديثة في الجزائر ، مع العلم أن هذا التقسيم كان على مراحل ليأخذ شكله النهائي في السنة المذكورة أعلاه –سنة 1565م–.

فبهذا يكون حسن باشا هو أول من استحدث بايلك الجنوب الذي حول اسمه فيما بعد إلى بايلك التيطري، غير انه لا يعرف بالضبط متى استحدث هذا الاسم – التيطري–[8].ويبدو لي أن هذا الاسم قد استنبط من اسم الجبل الذي يقع شمال المدية .هذا وقد أوردنا سابقا أن هذا البايلك كان يحكمه باي يقيم في مدينة المدية ،إلا أن هذه الأخيرة لم تكن تحت سلطته ،بل كانت تحت سلطة قائد خاص يدعى أو يلقب بالحاكم [9] ،أما عن حدود هذا البايلك ،فانه عرف عدة تعديلات وتغيرات طوال فترة الحكم العثماني بالجزائر ،ففي البداية كان يضم قبائل وادي سباو، غير انه وبحلول سنة 1775م تم فصل هذا الإقليم عنه لأسباب أمنية فاستقلت بذلك قبائله القاطنة بين خشنة ويسر بقيادة خاصة يحكمها أغا الجزائر ، وبعد سنوات جرد بايلك التيطري من ناحية تابلاط والبويرة ليصبح مقر الباي واحدا في مدينة المدية،

فاضحي هذا البايلك يحده من الشمال قبيلة مزايا وبني صالح أعالي البليدة وبني مسعود ،ومن الشرق قبائل بني سليمان وعريب ،ومن الغرب قبيلة جندل وأولاد خليف [10] .وربما كان الهدف من تعيين حاكم على مدينة المدية ، هو تقليص من صلاحيات الباي ونفوذه .والدليل على ذلك أن بعض قبائل بايلك التيطري لم تكن تحت سلطة الباي بل كان يتولى أمرها بعض المسؤولين على مستوى دار السلطان أمثال الأغا والخزناجي .

دون أن ننسى أن هذا البايلك قد قسم إلى عدة أجزاء تعرف بالأوطان ويحتوي كل وطن على مجموعة من القبائل، والأعراش ،والداوايرفقد بلغ عدد الأوطان به أربع عشرة وطنا [11]،وقد كان يحكم بعضها أغا العرب مثل عريب ،والأخر يحكمه خوجة الخيل مثل الزناخرة وعبادلية ، وما بقي فقد قسم إلى قيادات وهي تل أعلى يضم بعض القبائل مثل وزرة ، وعوامري ،وحسن بن علي ،وتل أسفل أو جنوبي مثل دواير، وتطرى، وأولاد حمزة وقيادة ديرة مثل أولاد عبد الله ،وأخيرا قيادة أولاد مختار في الجنوب التي فصلت بينهم وبين قبائل البدو مثل أولاد نايل وأولاد سيدي عيسى [12].وهناك من قسمها إلى التل الظهراوي ،

والتل القبلي، وديرة أو سور الغزلان ، وقيادة الجنوب وتشمل على القبائل الرحل وأتباع أولاد مختار [13] ،وكان هذا على مستوى الريف التيطري .

- **النشاط الإداري :**

تعتبر المناصب في الجهاز الإداري العثماني الأكثر استقرارا بمقارنتها بالمناصب الأخرى ،لهذا فقد استقطبت العديد من سكان بايلك التيطري .علما أن ابرز هذه المناصب كانت مناصب مساعدة لمهام الباي وهي تنقسم إلى الأعوان الأساسين الذين لهم صلة مباشرة بالباي أمثال الخليفة ،والخزناجي ، أغا الداوير ، والباش كاتب ،والباش مكاحلي ،والباش سراج ،والباش سيار ، والشيوخ وأعوان آخرون يساهمون في تسيير الإدارة على مستوى البايلك أمثال قائد الباب،وقائد السوق ،وقائد الزبل، والبراح ،ووكيل بيت المال، والقاضيان والمفتيان ...الخ [14] .

ففي بايلك التيطري ومن خلال دفتر مدينة المدية الذي عمل علية الدكتور أبو القاسم سعد الله، فقد وجد فيه عدة مناصب

إدارية اشتغل بها سكان هذه الجهة ، فمنهم الباي وشيخ البلد أو حاكم المدينة وهو بمثابة رئيس البلدية أمثال احمد الصحراوي، والحاج الصوفي سنة1828م وكان الاثنان من أعيان المدينة، كما نجد الشيخ احمد الشقماقجي سنة1824م والذي كان من الكراغلة بالإضافة إلى القضاة، إذ تولى مثلا هذا المنصب[15]. سنة1822 م الشيخ الحاج احمد بن محمد سلامة، وتولى سنة 1825م محمد بن محمد المحجوب، أما سنة1826م فقد كان القاضي هو محمد بن الخلفة . وزيادة على هذا ،فإن منصب الإفتاء قد نال حظه هو الأخر من هذه المناصب ،ففي سنة 1724م عين المفتي أبو القاسم الغربي ،أما في سنة 1829 م فالمفتي حمل اسم الشيخ محمد البصري .والى جانب هذه المناصب الإدارية نجد أيضا الخوجة[16] ،وكيل خرجة القصبة، وخوجة مخزن الزرع ،وكيل الحبس (الوقف)،والقائد، وخادم باب المحكمة، ووكلاء للأوقاف أمثال الحاج إسماعيل لزغلو سنة 1829م[17] .

كما أن المطلع على وثائق الرصيد العثماني بالأرشيف الوطني يلاحظ أن أسماء الأشخاص كانت دائما تضاف إليها

تسمية نشاطهم سواء كان إداري ،أو عسكري ،أو حرفي أو حتى موطنه الأصلي وغيره، فمن هذا المنطلق نستطيع أن نجد مناصب أخرى قد اعتلاها ووصل إليها سكان هذا البايلك من خلال الألقاب التي لتزال منتشرة بكثرة أو تحملها عائلات عريقة بهذه المنطقة اليوم مثل الأغا، والباشا، وأمين خوجة، بلخوجة، وقايد القصيةوباي.

- **النشاط الاقتصادية :**

يمكن أن نقيس مدى غنى أي منطقة بمدى إنتاجها وازدهارها الاقتصادي سواء في المجال الفلاحي،أو الصناعي أو التجاري .فيبدو أن بايلك التيطري في هذه الفترة تميز سكانه بممارسة هذه النشاطات بنسب متفاوتة بين جهاته سواء التلية أو الصحراوية كيف ذالك؟.

1- النشاط الفلاحي:

لقد مارس سكان بايلك التيطري ، عدة أنشطة فلاحيه سواء زراعية أو تربية الحيوانات ،فأهم هذه الزراعات الممارسة نجد

زراعة الحنطة–القمح–،والشعير ،إذ أنه قد ورد في إحدى الوثائق الأرشيفية أن سكان مدينة المدية كانوا يدفعون ضريبة على المادتين ،فقد دون فيها ما يلي :

" الحمد لله رب العالمين وصلى الله عليه وسلم تسليما

هذا التقييد المبارك يتضمن[كذا]ما يدخل المخزن الموفور بالله تعالى من البر والشعير من الأزواج المخزنية والراعية من تراب المدية والخلاص على الله وذلك على يدي احمد بيت المالجي وكاتب الحروف وسي خوجة وفق الله..." [18] فهذا يدل على ذلك المنتوج الوفير الخاص بهتين المادتين بدليل هذه الضريبة المفروضة.

كما أن حمدان بن عثمان خوجة صاحب المرآة يقول "إن سكان المدية شجعان ومتصلبون ...أنهم يجنون ثمارا ممتازة..."[19]. فالذي لا نزاع فيه أن هذا القول يوحى لمن اطلع عليه بأن سكان هذه الجهة لهم بساتين يغرسون بها أشجار مثمرة ولتنتج هذه الأخيرة ثمارا ممتازة وجب الاعتناء بها جيدا.

بالإضافة إلى أننا نجد أن المزارع والبساتين العديدة التي ورثها الكراغلة عن آبائهم الأتراك[20]،قد ورثوا معها عدة تقنيات زراعية باعتبار أن هؤلاء الأتراك كانوا يشتغلون بالفلاحة ،ويجدون غرس العديد من المنتجات الزراعية وعلى رأسها زراعة الكروم[21]. فقد كانت تزرع بتقنية عملية فعالة وناجحة،إذ أنهم يقومون في شهر فبراير بعناية هذه الكروم ونزع الحشائش عنها وحينئذ تترك الأغصان المثمرة وحدها حتى شهر أفريل حيث يشتد عودها،ومع عدم العناية بها بعد ذلك أكثر ،فإنها تعود للنمو الكبير من جديد بسرعة مع موسم القطف في آخر شهر جويلية ،فتزن عناقيد العنب إلى حدود الخمسة عشر رطلا بشكل شاسع ويتراوح قطر العنب بين ثلاث إلى أربع إنشات[22].ومن خلال بحثي الميداني في مدينة المدية وبايلك التيطري التي لازال أحفاد الكراغلة يعيشون بها وبضواحيها إلى اليوم لاحظت تلك البساتين والمزارع الشاسعة التي غرس بها الكروم بطريقة منظمة تثير الإعجاب.

هذا وقد كان سكان هذا البايلك يدفعون ضريبة على مادة العسل أيضا إذ أنهم كانوا يدفعون إلى الحاكم بالمدية عددا كبيرا من قلل العسل ويتضح أن جماعة وزرة ،وجماعة ريغة ،وبن

يعقوب ،و حسن بن علي كانوا يدفعون ثلاث قلل من العسل ، أما جماعة وامري ،وهورة فقد كانوا يدفعون قلتين ،في حين أن جماعة آهل الذمة فقد كانوا يدفعون أربع قلل من هذه المادة [23] .فهذا يقدم لنا معطيات مفادها أن سكان هذا البايلك كانوا يربون النحل على نطاق واسع .

كما نجد كذلك أن راعي البقر كان يدفع ضريبة إلى الحاكم[24]، فمنه نستدل على أن تربية البقر كانت موجودة بالمنطقة. وأيضا إن سكان هذا البايلك كانوا يربون المواشي من غنم وخرفان وغيره لدرجة أنهم برزوا بهذا النشاط[25].

2- النشاط الصناعي:

ولما كانت الحرفة هي المميز أو المصطلح المتداول آنذاك ،فقد مارس سكان هذا البايلك عدة حرف.لعل من أبرزها صناعة الحياك ومفرده الحايك لوفرة الصوف بالمنطقة ، إذ نجد أن قبائل الزناخرة والعبادلية ،وأولاد سي موسى ،والشيخ احمد بن زياد قد كانوا يدفعون ضرائب على منتوج هذه الصناعة سواء من الحياك أو نقدا [26] .والذي لا خلاف فيه ،فإن هذه المعطيات توحي

لنا بأن سكان هذه الجهة كانوا يمارسون هذه الحرفة بشكل كبير حتى جعل السلطة تفرض عليها ضريبة خاصة .

كما أن سكان هذا البايلك قد مارسوا حرف أخرى كثيرة كالخيال ،والسياف ،والبناي،والحداد، والخياط ،والنجار ،والحمامجي ،والسمسار ،والدباغ ،والصباغ ،والدلال، والسراج، والمداح[27].وزيادة على هذا ،فقد تعاطا الكراغلة بهذا البايلك حرفة البابوجية[28]،فهذه الحرفة هي صناعة الأحذية التي ورثوها عن آبائهم باعتبار أن الأتراك كانوا ينشطون بها في الجزائر بشكل كبير لدرجة هيمنتهم على هذه الحرفة [29] ، خاصة في مدينة المدية التي لازالت هذه الصنعة منتشرة بها إلى اليوم.

وأيضا نلاحظ اليوم في كل مناطق هذا البايلك وجود ألقاب لعائلات كبيرة وعريقة تحمل معنى حرفة معينة .ومما سبق عرفنا أن الصانع في تلك الفترة يضاف إلى اسمه اسم صنعته أو حرفته ، فبناءا ،على هذا المعطى نجد أن سكان التيطري قد مارسوا عدة حرف أخرى مضافة إلى الحرف التي تطرقنا إليها سابقا مثل النسيج من خلال لقب دواجي، والحدادة بدليل وجود

لقب دمرجي، والخياطة من خلال لقب خياطين, والطراز لوجود لقب باش تارزي, ومعلم الصنعة من خلال لقب شاوش .

3- النشاط التجاري:

إن تنوع الإنتاج الفلاحي والصناعي يدفع بالضرورة إلى المبادلات التجارية ،فهذه الأخيرة عرفت تميزا كبيرا في بايلك التيطري.وبحكم أن مدينة المدية تقع في طريق تجاري هام يربط بين الشمال والجنوب[30]، فقد كثرة بها المرافق والفضاءات التجارية من حوانيت ومقاهي ومخازن وحمامات وفنادق أو الخانات، فكانت هذه المرافق برغم قلة عددها مقارنة مع مثيلتها في مدينة الجزائر مثلا ،إلا أنها كانت أكثر أناقة ،وجمالا، وصيانة ،لا سيما مقهاها وفندقها ، أما الدكاكين أو الحوانيت التي كان معظم أصحابها من اليهود، فإنها متشابهة لما هو موجود في مدينة الجزائر[31]. وقد أثرت هذه الحركة التجارية على مستوى المدينة في ريف البايلك .

فقد عرفت الأرياف بهذا البايلك حركية تجارية متميزة ،ويكمن هذا التميز في تعدد أسواقه الأسبوعية ، فأهم هذه

الأسواق، هو سوق الربايع الواقعة جنوب المدية ،إضافة إلى العذاورة ،وأولاد مختار وأولاد عنان[32].وهنا تجدر الإشارة إلى أن هذه الأسواق بقدر ما كانت لها ادوار اقتصادية تجارية ،بقدر ما كانت لها أدوار وأهمية سياسية وذلك بغرض جذب القبائل الصحراوية والجبلية الممتنعة إلى الأسواق التلية لفترة لا تتجاوز بضعة أشهر من اجل استخلاص الإدارة للضرائب منها[33]، وإخضاعها ،ولضمان هذا الإخضاع عملت السلطة على تشييد الحصون والأبراج مثل حصن مدينة المدية وبرج أم نايل وبرج سور الغزلان وغيرها[34].ووضعت الأسواق تحت رقابة قبائل المخزن وقد سمح هذا الوضع بان تتشكل جماعات سكانية بجوار أماكن انعقاد الأسواق .

والجدير بالذكر أن بايلك التيطري كان له دور كبير في التجارة الجزائرية الخارجية .بحيث أن ايالة الجزائر في هذه الفترة كانت تصدر إلى أوروبا ما بين سبعة وثمانية ألاف قنطار من الصوف سنويا، وكان معظم هذا الإنتاج يأتي من بايلك التيطري [35] .فهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن منتوج الصوف التيطري كان وفير يحقق منه سكان البايلك الاكتفاء الذاتي ثم

يصدرونه ،كما انه كان يتصدر ويفوق منتوج باقي البايليك، إضافة إلى انه تميز بالجودة العالمية .

كما ساهم هذا البايلك أيضا في تجارة أكثر المواد أهمية وتصديرا إلى خارج الايالة وهو صباغ القرمز المقطوف ذا اللون القرمزي إذ أن نسبة ثلاثة أو أربع مائة قنطار من هذه المادة كانت تخرج من بايلك التيطري والغرب[36].وقد كان المرسى الذي تخرج منه اغلب منتوجات التيطري إلى خارج الايالة هو ميناء دلس إذ يقول فنتار دي باردي " dellis , qui est le porte de titeri "[37].فيبدو انه بالرغم من صغر مساحة بايلك التيطري الا انه كان ينافس البايليك الأخرى في الكمية الكبيرة للمنتوجات وتنوعها، والتي ساهمت في التجارة الداخلية والخارجية لايالة الجزائر .

- **الحياة الاجتماعية :**

❖ **التركيبة السكانية للبايلك :**

تتميز التركيبة السكانية لبايلك التيطري بالفسيفسائية والتنوع في فئات هذا المجتمع من حيث أصل السكان وامتزاجهم بحيث انه يتكون من سكان مدينة المدية مقر البايلك وسكان الريف .

1-سكان مدينة المدية عاصمة البايلك : باعتبار أن مدينة المدية هي مركز البايلك نجد أنها بالضرورة ستتميز عن كل المناطق التابعة لها بالتنوع في فئات سكانها ونعددهم كالأتي.

-**البلدية أو الحضر**:وهم السكان القاطنون بالمدينة بشكل دائم والذين توطنها منذ زمن بعيد [38]، أي قبل مجيء العثمانيين إلى المدينة ،فهم بذلك السكان الأصليين بهذه الأخيرة.

-**الأتراك :** إن هذه الفئة تعتبر الفئة الرامزة للوجود العثماني بأي جهة من جهات الايالة. فقد تواجد الأتراك في مدينة المدية منذ سنة 1517م ،وذلك مع إخضاع عروج لهذه المدينة وتركه بها حامية عسكرية تركية[39].وبعدها نلاحظ أن هذه الفئة بدأت في تزايد إذ وصل عددها إلى 150تركيا سنة 1533م[40].وما زاد هذه العدد في السنوات التالية هو إنشاء تلك الحامية بسور الغزلان ووضع قوة احتياطية عسكرية أخرى في البرواقية [41].

-**الأندلسيون:** لقد وجد الأندلسيين بالكثير من المدن الجزائرية وذلك منذ الفتح الإسلامي للأندلس، فقد كانوا يتوافدون باستمرار إلى هذه المدن لأغراض علمية أو تجارية ،وما زاد ارتفاع عدد المتوافدين هو ذلك القمع الاسباني لهم مع سقوط أخر معقل للمسلمين بالأندلس –غرناطة–أواخر القرن 15م، والأكيد أن عددا منهم قد وجد بمدينة المدية سنة 1517م من ضمن الحامية التركية التي تركها عروج بالمدينة[42] .

-**الكراغلة** :والواقع أن فئة الكراغلة تكونت في العهود الأولى للوجود العثماني بالايالة ،خاصة عقب سماح خير الدين بربروس للإنكشارية بالزواج بعدما كان رافضا لهذه الفكرة. والسبب يعود إلى أن أحد الانكشارية الذي عصى الأوامر وتزوج سرا من إحدى بنات الجزائر, هذه الأخيرة التي كشفت لزوجها الانكشاري حبا له عن فحوى مؤامرة كان يدبرها أهلها , وذلك بالاتفاق بين سكان مدينة الجزائر على حمل السلاح والهجوم على الأتراك أثناء اجتماعهم في مسجدهم صبيحة يوم العيد ,وفي اليوم التالي يقتلونهم عن بكرة أبيهم، فلما أخبر هذا الانكشاري المتزوج عما سمعه من زوجته لخير الدين بربروس أصبح هذا الأخير يشجع

الزواج من الجزائريات[43].ونجد أن مدينة المدية كانت تضم عددا كبيرا منهم[44].ويبدو أن تواجد الأتراك بهذه المدينة كان له الدور الكبير في تزايد هذه الفئة.

-**البرانية** : وهم الأفراد أو العائلات التي وفدت إلى المدينة قصد العمل أو الإقامة.فالملاحظ أنهم عرفوا بأسماء نسبة إلى بلدانهم الأصلية بعد ذكر أسمائهم أمثال الأغواطي والأغواطية ،والمسلي ،والميزابي ،واليزكني ،والجزيري (الجزائري)،والتلمساني ،والباجي ،والمازوني ،والزنيخري ،والريغي ،والزواوي،والقسنطيني[45] .

-**اليهود:** يعود وجود اليهود بالجزائر إلى عصور غابرة ،إضافة إلى تلك الهجرات المتتالية من أوروبا في الفترات اللاحقة سواء اثر حروب الاسترداد أو نتيجة سقوط غرناطة، زيادة إلى هجرات أخرى حدثت فيما بعد[46].لذلك نجد أنهم قد تواجدوا في العديد من المدن الجزائرية أمثال مدينة المدية التي استقروا بها وأصبحوا ملاك إذ أن يهودي اسمه شفعة ولد سالوم قد اشترى دار من مسلم اسمه احمد بن جعيفر بالمدينة بثمن قدره 600بوجة ، في أواخر العهد العثماني بالجزائر[47]،دون أن نسى أن اليهود يعتبرون أسياد العالم في جميع الثروات والأموال حيث يعملون بصياغة

الـذهب والصـيرفة ويقومـون بطـرق العملـة الذهبيـة والفضـية والنحاسية ولا ينازعهم احد في ذلك .

العبيد:يتضح من خلال ما ورد في دفتر المدية أن هناك العديد من الحالات لعتق العبيد[48]، وهذا دليل على وجود هذا العنصر في مدينة المدية ولا يستبعد أن العبيد قد توافدوا على البايلك عن طريق التجارة التي كانت رائجة بين الصحراء وإفريقيا .

2-سكان الريف :

يتميز بايلك التيطري بطابعه الريفي فاغلبه ريف إذا استثنينا مدينـة المديـة مركـز البايلـك وبعـض المـدن الأخرى.فهـذا الريـف يتكون من عدة قبائل يمكن أن نقسمها إلى قبائل الجزء الشمالي التي تميزت بممارسة الزراعة، أما قبائل الجزء الجنوبي ،فتميزت بالبداوة والترحال .ونجد أن قبائل الجزء الشمالي اغلبها بربرية أمثال قبيلة هوارة وقبائل صنهاجة[49]،أما قبائل الجنوب البدوية فاغلبها عربية مثل قبائل أولاد نايل ، فنلاحظ أن أهل الصحراء يحملون إلى التل مواشيهم فيأخذ التلي الصوف والتمر والصحراوي الحبوب كما هي الحالة اليوم ،لهذا فان التكامل بين سكان الريف

كان واضحا ،غير أن الإدارة العثمانية لم تترك هذا الريف يسير أموره بطريقة مستقلة ،بل أخضعه إلى نظام إداري محكم .

❖ **بعض عادات سكان البايلك :**

أ-الزواج:تميز القران في هذه الجهة بتزويج الأولاد الصغار الذين كانوا ما يزالون عند البلوغ في حين أن الفتيات يكن اقل بكثير، وكثيرا ما كان يتأخر كتابة عقد الزواج عدة سنوات بعد وقوع الزواج فعلا [50].هذا في عاصمة البايلك فما بالك في باقي مناطق هذا الأخير ،ولاسيما في المناطق الريفية البعيدة ، فيبدو لي أنها كانت تقام الزيجات بقرأة الفاتحة دون تدوين عقد زواج مكتوب .

وبالإضافة إلى أن اغلب الزيجات في مدينة المدية كانت بين سكان المدينة ،لاسيما بين الحضر ومن بينهم الكراغلة ،هذا وقد تنوع صداق العروس من صوف ،وحياك ،وجوهر ،وذهب ،وقفطان فضة، غير أن هذا الزواج لم يكن دائما ناجحا بل انه في الكثير من الأحيان يصل إلى الطلاق وحتى الخلع فقد كان يحدث في هذه الجهة ،والشيء المثير للانتباه هو أن الزوجة في اغلب حالات الطلاق تتنازل عن حقوقها وتتحمل النفقة على

نفسها وعلى أولادها وحتى الحضانة في بعض الأحيان[51].فهذا يدل على سوء معاملة الأزواج لزوجاتهم لدرجة أنهن كن يتخلين و يحرمن من حقوقهن ، وهذه الظاهرة تحتاج إلى بحث معمق يحمل عدة تساؤلات .

ب-التكافل الاجتماعي: يبدو أن التكافل الاجتماعي في مدينة المدية قد شمل عدة جوانب لعل من أهمها حالات العتق والمقصد منها فعل البر لوجه الله ،ونجد كذلك الصدقات ،ففي سنة1822م قامت إحدى السيدات بالتصدق بدار على ابنة زوجها ،كما نجد أيضا من أفعال البر والإحسان نفقة احد السادة على ربيبه بصورة لافتة للانتباه غايته وجه الله وصلة الرحم[52].هذا وقد مارس سكان هذا البايلك عادات أخرى لعل من أبرزها هي:

ج-السحر : إن السحر قد نال حظه من الممارسات التي كان سكان بايلك التيطري يؤمنون بها ،إذ أنهم كانوا يحتفظون برؤوس الضباع لهذه الغاية ،لدرجة أن الطبيب وعالم النبات هبنسترايت الذي زار ايالة الجزائر سنة1732م ،علل عدم حصوله على هذا الحيوان بالرغم من كل المجهودات التي قام بها ، لكون سكان هذه

المنطقة قد كانوا يحرصون على امتلاك رؤوس هذا الحيوان المتوحش لغرض السحر[53].

❖ **لمحة عن الموروث الثقافي التركي بالبايلك :**

والجدير بالذكر ،هو ذلك الموروث الثقافي التركي الذي لايزال محافظا عليه إلى اليوم في هذا البايلك كبعض المفردات والمصطلحات الشائعة والمتداولة .فنجد أن الباحث اللغوي محمد بن شنب ركز في مؤلفه الموسوم ب: "الكلمات التركية والفارسية الباقية في العامية الجزائرية "على مدينة المدية وقسنطينة، فقد ابرز في هذا المؤلف 634 كلمة بين ما هي تركية وفارسية واسبانية ويونانية وباقي لغات البحر المتوسط ،مؤكدا على أن الكلمات ذات الأصل التركي في المدينتين هي 239 كلمة و 49 كلمة أخرى مركبة نصفها جزائري والنصف الأخر تركي[54]. غير أننا يجب الإشارة إلا أنه في اللغة العصمانلية واللغة التركية الحديثة قد أدخل فيها كلمات ذات أصل فارسي، فهذا يوحى لأن الكلمات التي انتقلت إلى العامية الجزائرية أكثر بكثير من 288 كلمة باعتبار أن الكلمات الفارسية تعتبر تركية ذات أصل فارسي .

وسنقدم بعض من هذه الكلمات التي لاتزال متداولة إلى اليوم في بايلك التيطري ولها نفس المعنى المتداول أمثال البازار بمعنى متجر أو بيت كبير ، وبايلك بمعنى الحكومة ، وبقراج بمعنى إناء القهوة ، وبوريون بمعنى تلك السحلية الخضراء التي تأكل الأنف وهذا معروف خاصة في مدينة المدية ، وتلوة بمعنى باقي القهوة ،والخزناجي بمعنى أمين الصندوق ، ورنقيلة بمعنى شيشة ، وبرغل بمعنى القمح المسلوق المجفف والمقشر والمرحي ثم يعد به الحساء ، ودربوكة بمعنى طبل ، وزنبطوط بمعنى العازب ،وزوالي بمعنى سيء الحظ، وطابونة بمعنى فرن ريفي ، والقفطان بمعنى معطف ، وقهواجي بمعنى المقدم للقهوة[55].

هذا ونجد انه ورد في نفس المؤلف السابق أسماء لأكلات لازالت تطبخ في بايلك التيطري إلى اليوم أيضا أمثال بقلاوة ،والبوراك ،ودولمة وزلابية، وشربات ،وشوربة ،وصامصة ، وكفتة [56].فالذي لا نقاش فيه هو أن العائلات ذات الأصول الكرغلية هي أكثر العائلات التي لازالت تحافظ على هذه التقاليد في الطبخ.

الخاتمة :

وفـي الأخيـر يمكـن أن نشـير إلـى انـه وبـالرغم مـن قلـة المصـادر والمراجـع التـي تناولـت بايلـك التيطـري أثنـاء الوجـود العثماني بالجزائر ،والتي افتقرت إلى المعلومات ،خاصة ما تعلق منها بالجانب الاقتصادي والاجتماعي،فنلاحظ أنها لا تشفي غليل الباحث ولا تشبع نهمة من المعرفة، إلا أنها أشارت إلى أن هذا البايلك قد تميز عن باقي البايليك الأخرى بمميزات كثيرة مكنته من أن يبقى دائما يحتل الصدارة في بعض الجوانب رغم صغر مساحته وفقره ،فيبدو أن هذا كان بفضل موقعه الاستراتيجي الذي يتوسط الايالة وكونه أول البايليك تأسيسا ، كما أننا أنه كان رائدا في العديد من الجوانب الاقتصادية كالمنتجات الفلاحية والصناعية مثل تربية المواشي وإنتاج الصوف والأحذية ، إضافة إلى أن الحياة الاجتماعية به قد تأثرت كثيرا بالوجود العثماني وما خلفه من موروث حضاري لايزال مغروسا بالمنطقة إلى اليوم .

الهوامش :

1-عروج **بربروس** :هو الابن الثاني من أربعة ذكور وهم إسحاق ،وخير الدين وإلياس من أب تركي سبايهي اسمه يعقوب ،وعروج كان في البداية تاجرا ثم تحول إلى الجهاد البحري في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ،وأخوه خير الدين هو أول حاكم تركي يحكم الجزائر بلقب بيلرباي ،أما أخويه إسحاق وإلياس فقد استشهدا بالجزائر .للمزيد أنظر خير الدين بربروس، **مذكرات خير الدين بربروس**، تر :محمد دراج ،ط1، الأصالة للنشر و التوزيع، الجزائر, 2010م، ص 21 و ما بعدها ، وأنظر أيضا يحي بوعزيز, **الموجود في تاريخ الجزائر** "**الحديث**" ,ج2، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ,2009 م، ص،ص 15، 16.

2-F.D. Haëdo , **Histoire des rois d'Alger**, tr: an par H.D.De Grammont, Adolphe Jourdan, libraire. Ed., Alger, 1881.p, p17,18.

3-احمد توفيق المدني ، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792 م**,المجلد 5 ، عالم المعرفة , الجزائر, 2010 م ، ص 169.

4 -H. Federmann et Baron Aucapitaine, Notices sur l'histoire et l'administration du beylik de titeri , in **R.A** ,N°9 ,Alger , 1865.p280.

5-ج.او. هبنسترايت ، **رحلة العالم الألماني إلى الجزائر وتونس وطرابلس(1145هـ-1732م)**، ترجمة،وتقديم،وتعليق:ا.د.ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي ،تونس ، دت ،ص64.

6-**المدية** : تقع هذه المدينة على بعد 90كلم جنوب غرب مدينة الجزائر ،وعرف معنى تسميتها اختلافا كبيرا بين المؤرخين فمنهم من قال أنها كلمة بربرية تعني العلو أو الأرض المرتفعة ، وهناك من قال أن اسمها مأخوذ من اسم قبائل كانوا يعيشون بها يعرفون باسم لمدية واليهم تنسب التسمية وغيرها من الآراء ، أما عن تاريخ ومن أسسها فهو غير معروف إطلاقا ، فالرواية القائلة أن بلوكين بن زيري هو الذي أسسها حوالي 250 هـ هي غير صحيحة فقد وجدت المدينة قبل العهد الزيري بكثير للمزيد انظر: هبنسترايت ،المصدر السابق ، ص64. وانظر أيضا مولاي بلحميسي ،"مدينة المدية عبر العصور "، في ،

الجزائر، ماي **الأصالة** ،العدد02 ، مجلة ثقافية تصدرها وزارة الأصلي والشؤون الدينية، 1971. ص،ص 135،136.

7-توفيق المدني ،المرجع السابق ص 331.

8- بلحميسي ، المرجع السابق، ص139.

9 -J.M. Venture de Paradis, Tunis et Alger au XVIIIe siècle, mémoires et observations, Présentés par Joseph Cuoq, Sindbad, Paris, 1983, p-p. 117 .

10- بلحميسي، المرجع السابق ،ص،ص140،139.

11- ارزقي شويتام ،**المجتمع الجزائري و فعالياته في العهد العثماني926-1246هـ/1519-1830**م ،ط1،دار الكتاب العربي، الجزائر،2009 م ،ص،ص54،53.

12-بلحميسي ، المرجع السابق ، ص140.

13-الميلي ، المرجع السابق ، ج3، ص292.

14- شويتام ، المرجع السابق ، ص-ص50-55.

15- **الكراغلة** : هم الأطفال المولودين في الجزائر من أباء أتراك أو أعلاج من الانكشارية أو رياس البحر بالنساء الجزائريات سواء كن عربيات، أمازيغيات أو أندلسيات، والكراغلة كمصطلح هي فئة اجتماعية تكونت في العهود الأولى للوجود العثماني ،ويمكن أن نميز هذه الفئة في الجزائر، تونس أو ليبيا من خلال مصطلحات تضاف إلى أسمائهم أو ألقاب هذه العائلات الموحية على نسب هؤلاء ، مثل الكشايري، والسطنبولي، وقلايحي، ودواجي، ودمرجي ،وطبجي، وقارة، وأغا، وباشا، وباش تارزي، وزميرلي، وكراكجي ،وكشوكالي ، و(كجك علي)، وبسطانجي، وكلوغلي ،وشاوش الطير، وقايد قصبة، وشاوش، وصاري، ودالي، وشاوش، وبن دالي، بويرق دار، وباي او بلباي، وعلي خوجة، وبلخوجة ،وانجليزباي، وصطنبولي، وكريتلي، ومسقالجي، وأمين خوجة، وبشين، وشندرلي، وبن كجك، وقرة، وقاوة وبن قاوة ،وبن شيكو, ودومانجي , وقرابصي , تشاكر (جاقر) لزغلو، وشلابي، ودنقيز، وابن تركية, والكجيل، إضافة إلى عائلة اسكندر ،وبوقلقال، وقرمزلي، كما نجد أن اغلب المؤرخين قد اتفقوا على أن كلمة **كراغلة** جمع **كرغلي** عثمانية الأصل بحيث إنها مركبة من كلمتين

:قول وتعني العبد، وأوغلو وتعني الابن أي " ابن العبد"،والملاحظ في تلك الفترة أن كلمة **قول** أي العبد لم تكن صفة خاصة بالكرغلي فقط بل إنها كانت تخص وتضاف لكل أسماء الموظفين في الإمبراطورية العثمانية.فمن خلال كل ما سبق يمكن استنتاج أن معنى العبودية الذي ألصق بالكراغلة يعود على الأب العثماني و الأم المحلية و الابن الكرغلي لأن كل رعايا الدولة العثمانية آنذاك هم عبيد أو بالأحرى خدام للسلطان العثماني . والواقع انه من خلال بحثي الميداني بمدينة المدية صادفت العديد من السكان يستعملون كلمة كرغلي للشتم بمعنى الأناني أو للدلالة على الشخص الغريب عن المدينة و يدعي أنه من أبنائها الحضر. للمزيد انظر حبيبة عليليش ، **الكراغلة في المجتمع الجزائري العثماني** ،مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر ،(مرقونة)، إشراف د:نادية طرشون، معهد التاريخ ،جامعة المدية،الجزائر ،2014-2015م، ص-ص 10-14.

16-الخوجة: كلمة تركية معناها، المسجل الكاتب الناسخ المتعلم أو المعلم الخاص.انظر محمد بن ميمون الجزائري، **التحفة المرصنية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تحقيق،وتقديم، محمد بن عبد الكريم، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007 م، ص 171.

17- أبو القاسم سعد الله ، "دفتر محكمة المدية، الجزائر أواخر العهد العثماني 1821-1839م "،في : **الثقافة**، عدد81، مجلة درها وزارة الثقافة والسياحة بالجزائر، الجزائر، 1984م،ص-ص143-162.

18- سلسلة البايليك،علبة9، سجل 39 ،الأرشيف الوطني الجزائري .

19- حمدان بن عثمان خوجة ، **المرآة** ، تعريب :محمد العربي الزبيري ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر، 1980م،ص58.

20- نفسه ،ص-ص 48-50.

21- عليليش ،المرجع السابق ،ص62.

22- وليام سبنسر ، **الجزائر في عهد رياس البحر** ،تعليق , تقديم:عبد القادر زبادية ، دار القصبة للنشر،الجزائر،2007 م، ص-ص 137-139.

23- شويتام ، المرجع السابق ، ص 223.

24-سلسلة البايليك ، علبة 10، سجل 40.الأرشيف الوطني الجزائري .

25- Venture de Paradis , op.cit. ,p123

وانظر أيضا هبنسترايت ، المصدر السابق ،ص-ص 63-66.

26 -شويتام ، المرجع السابق ،ص224.

27-أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ،162.

28-**البابوج** :هو لفظ فارسي أصله بابوش وهو الحذاء المريح المصنوع من الحرير المزركش بالذهب والألماس تتزين به النساء.انظر: مصطفى عبد الكريم الخطيب، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، ط1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت، 1996م، ص62.

29-عليليش ، المرجع السابق ،ص67.

30-بلحميسي،المرجع السابق ،ص141.

31-شويتام ، المرجع السابق ، ص337.

32-نفسه ،ص341.

33-نفسه، ص-ص340-366.

34- Federmann et Aucapitaine, op.cit.,p281.

35 –J.M. Venture de Paradis, **Alger au XVIIIe siècle**, edité par E.fagnan , ,impr libraire ,Ed,Alger , 1898. P18.

36–ibid ,P–P17–18.

37–Ibid ,P22.

38 – عائشة غطاس ، **الحرف و الحرفيون بمدينة الجزائر 1700–1830 مقاربة اجتماعية – اقتصادية** ،المؤسسة الوطنية للاتصال النشر والإشهار، رويبة ،الجزائر،2007م،ص21.

39– Federmann et Aucapitaine, op.cit.,p280.

40 – احمد توفيق المدني, **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492–1792م ,** المجلد 5 ، عالم المعرفة , الجزائر، 2010م، ص256 .

41 – مبارك بن محمد الهلالي الميلي،**تاريخ الجزائر في القديم والحديث**،ج3، مكتبة النهضة ، الجزائر، 1963م ، ص296.

42– Federmann et Aucapitaine, op.cit.,p280.

43 – سمون بفايفز ، **مذكرات جزائرية عشية الاحتلال** ، تعريب، وتقديم ، وتعليق، د: أبو العيد دودو، دار هومة، الجزائر، 2009م، ص187.

44–شويتام ، المرجع السابق ، ص90.

45–أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ،ص163.

46 – غطاس ،المرجع السابق ، ص–ص38–36.

47 – أبو القاسم سعد الله ،المرجع السابق ، ص162.

48 – نفسه ،ص153.

49 –الميلي ، المرجع السابق ، ج2،ص–ص215–440.

50 – أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق، ص150.

51 -نفسه ،ص-ص 149-152.

52 -نفسه ، ص-ص143-155.

53 -هبنسترايت ، المصدر السابق ، ص63.

54-Mohamed Ben Cheneb, **Mots Turks et Persans Conservés dans le Parler Algérien** ,Imprimeur- libraire .Ed.Alger, 1922,p-p7-9.

55-Ibid.,p-p15et suit.

56-Ibidem.